



مجلة الصعاليك

4

محرم 1447 هـ



الفهرس

الرقم	الموضوع	الصفحة
*	المقدمة	3
1	بينمات	3
1.1	قصة الصيني والبغاء لأبي قلمون	4
1.2	ضوء في مَصَفِّ الوقود لضوء	4
1.3	مَصَفِّ الكهرباء لأبي قلمون	4
1.4	انبعاث الحزن في الشابكة لهاشم	5
1.5	مستشفى الربيع أم النسيم لضوء	5
1.6	لافتة التدخين لأبي قلمون	5
1.7	مضي الوقت لأبي قلمون	5
1.8	علابط وطرطبيس في سكر لعبس (بتصرف من إيليا)	6
1.9	وابل من الأبيات لأبي منيع	6
1.10	ليس بشعر لأبي قلمون	7
1.11	حب تدمر لرعد	8
1.12	الآراء لابن المهلل	9
2	مقالات هريرة لأبي قلمون	9
2.1	الخوف	9
2.2	في التغير وسبيله	11
2.3	الثقة	12

الرقم	الموضوع	الصفحة
3	الرد على المخبوطة بالنسوية	14
4	حكايات الصعاليك لرعد	18
4.1	عن حفظ المعلقات ونفعها	18
4.2	عن تغيير الاسم إلى العربية	19
4.3	أعجوبة همّال	19
5	سؤال لرعد	20
6	تشجيع الجنّازة لابن المهلهل	21
7	من عجائب الأندلس للبيب	22
8	مفاخرة التوزيعات لأبي قلمون	26

مقدمة

السلام على

الحمد لله العليم الخبير المفضل علينا بواسع فضله أن نزل كتابه العظيم بلسان عربي مبين جزى الله كل مُعْتَنٍ وهدى كل مُفْرَطٍ والصلاة والسلام على خير من نطق به محمدٌ رسولُ الله وعلى أزواجه وذريته.

أما بعد:

فهذه كما سبق لك إن كنت من قارئها، مجلة دوننا فيها ما جاد علينا من الأدب ومعاني العصر في أسلوب العرب، سلسلتها ويعجبنا أنها حرز إذا عدم الأدب عربياً ولم يجده أحد عند كاتب أو قائل، نستذكر فيه المآثر ونحييها، ونجد ذوق العرب ونبعثه على النفوس، وهذه أسمى غاياتنا، فإن كنت من أهل الصفاء، ونقاء القصد، سهل النية، فتحياتك:

هَبَطَا تَبَالَةً مُخَصَّبًا أَهْضَامُهَا

ولو شئت اطلع على سائر المجلة، وإليك الآتي.

1- البينمات

1.1 قصة الصيني والبغاء لأبي قلمون

بينما كنا نتحدث في مجمع من مجامع الشَّابكة، إذ أرسل مُرسلٌ مشهدًا لصيني أراد قُطُّ أن ينقض على ببغائه، فرماه بشبشب أصاب البغاء فمات في وقته، وصار الصيني يُقيم عليه النواح والعياط فعنَّ أن أكتب قصة عن هذا بأسلوب كليلَة ودمنة، فكتبت: واعلم أيها الملك -زادك الله حكمةً ورشدا-، أن في التهور الهلاك يريد به صاحبه الذود فيجلب الموت، ويصيبه ما أصاب الصيني الذي أراد النجاة لببغائه فأهلكه. قال الملك: وكيف كان ذلك؟

قلت: أنبئنا أنه كان في بلاد الصين رجلٌ عنده ببغاء، خرج يومًا من المنزل فلما رآه قُطُّ بالجوار جاءه منقضا، فتنبه الرجل سريعا فرماه بشبشب يريد إبعاده، فأخطأ الرمية وأصاب البغاء، فجاء يتفحصه.. فوجده ميتًا وما كان منه إلا أن يقيم عليه البكاء والعياط ويتحسر عليه، ويندم على تهوره. وهكذا أيها الملك يورد التهور موارد المهلكة.

1.2 ضوء في مَصَفِّ الوقود لضوء

بينما أنا جالس في سيارتي أعد نجوم النهار، وقد صفت سيارتي في صف كأنما هو سور الصين لا يعرف له أول من آخر، واشتد الحر على بعد أن أبي المكيف أن يعمل، خرجت استنشق بعض الهواء وبعد ثوان أقبل علي شاب طويل نحيف البنية، وقال: السلام عليكم. فرددت السلام، فثرثر بكلام لم أحفظ منه شيئا ثم قال: عندي حشيش في السيارة، تفضل أشارك إياه. فاعتذرت ورجعت لسيارتي وقلت في نفسي: نـزال في التَّخَدَّر هـذا الحر، لا يستوي!

1.3 مَصَفِّ الكهرباء لأبي قلمون

بينما هو واقف في مصفِّ تسديد تكاليف الكهرباء، ماقتًا عيشة الصفوف هذه، فإذا به يسمع شيخين يحادث أحدهم الآخر قائلاً: أنا أدفع خمسين دينارًا في الشهر، وأشغل ثلاثة مكيفات وغسالة ومضخة ماء مع الأضواء. فقال الآخر: لم أنا أدفع ستين دينارًا كل عشرة أيام؟ فرد عليه الأول قائلاً: عندك تسريب كهرباء عليك.

1.4- انبعاث الحزن في الشابكة لهاشم

بينما هاشم يتصفح في الشابكة، فوجئ بانبعاث للحزن والكآبة، فعزم الانتحار ولكنه لم ينتحر؛ لأنه أكسل من أن يصعد مبنى ثلاثة طوابق كي يقفز منه.

1.5- مستشفى الربيع أم النسيم لضوء

بينما دوليث يسامر رفقة أمام بيته، سمع صوت مكابح شديد فالتفت وصحبه على مصدر الصوت، فإذا به من سيارة فخمة آخر الشارع وقد حاصرتها سيارتان، فنزلت من السيارة أمامه عصابة ومن خلفه عصابة وأحاطوا به من كل حد وصوب، وخبروه بين مستشفى الربيع لأنه أقرب، ومستشفى النسيم إذ هو أحسن، فقال المحاصر: لا هذا ولا ذاك، بل مستشفى الخريف. فسمعنا إطلاق نار وفر المطلقون هاربين، فأقبلنا على المصاب نسعفه فسألناه: مستشفى الربيع إذ هو أقرب، أم مستشفى النسيم إذ هو أحسن؟ فقال: ما استطعتم ما استطعتم، وأغمي عليه.

1.6- لافطة التدخين لأبي قلمون

بينما صديقي يمشي في الطرقات، ويتجول في الأسواق، باحثاً عن غرض من الأغراض، رأى لافطة كتب عليها: "فضلاً التدخين لا يجوز، فأهلك نفسك بعيداً". فابتسم وصورها ثم مضى فيما كان، وأحسب أنه أعجب بجرأة واضعها فابتسم، ثم تذكر بلية ابن آدم وجنائته على نفسه، فابتأس ومضى فيما كان.

1.7- مضي الوقت لأبي قلمون

بينما كنت أتحادث مع الصعاليك وأتأسر على مضي الوقت والتفريط، خدمني العقل بفكرة تُقارع الخيال كذباً وتضاهي الحق صدقاً، وذكرني بقول كاتب قصص النفس كريم سيثي: ألا وقت، وما تعيشه فذكر: فهب أنك فقدت الذاكرة فقدًا تاماً مُستمرًا دون أجل، فتكون بهذا قطعت صلتك بالوقت، وعشت كل ساعة لوحدها بلا مثيل، وهذا ما علينا السعي له أن ندرك الساعة ولا نندم على فائت، ولكن الساعة فالساعة.... وهذا فتح علينا بابا: فما دام عقلك حافظًا، سيجمع

الأحداث لا مُحالة، وصدق من قال: إننا نعيش في فائت، فُكل المشاهد تمضي وتصير ماضياً، ثم مضيت غائصاً في هذه الفكرة حتى خفت أن تكون هذه إحدى وساوس الشياطين وخبطهم، ففررت فرار الخائف المسكين، ولكن إلى أين يا حسرة.

1.8- علابط وطرطيس في سُكر لعبس بتصرف من إيليا

بينما أنا جالسٌ في الطريق إذ رأيت علابط يركض وقد تَفَحَّذَ عصاً ويصيح: يا مرام! يا مرام! أنتِ من مصر أو الشام. فصده طرطيس وأوقفه فتحدثا ثم تجادلا وما ظننت فيهما إلا السكر من كثرة الخمر، فطربت مرحاً ولحقتهما لما ركب طرطيس العصا خلفه، وركضا حتى وصلا عند دار مهجور مهدوم. فقال طرطيس: ها هنا. فدخلوا فتكلما ولا أرى من يحدثان إذ صرخ علابط: فشرت! فرفع عصاه وانقلبت من حصان إلى سيف من شدة الثمالة، وصار يضرب بها الهواء والجدران، وحال طرطيس مثل حاله وبقياً هكذا، يركضان ويضربان، حتى هاجت الجرذان والخفافيش في الدار فهلعا منها ونفرا حتى دخلا غرفةً من الغرف وأغلقا الباب، فوجدا فيها دمية فركض علابط يعانقها ويبكي واشتد أسفه وغضبه، فراح يركض لباب وكسره فكاد بعصاه الوطاويط والجرذان حتى خلى المكان، فعاد فحمل الدمية وركب عصاه وركض، أما طرطيس فقد وجد عصاه له فركبها وتبعه، حتى إذا خرجا وكنت وحدي أضحك عليهما، سمعتُ أننا من الغرفة يقول أرجوك اتركني.

1.9- وابل من الأبيات لأبي منيع

بينما كنت منطلقاً كشهابٍ راجم وفزع جاح، على طريق قريننا، وسبب هذا أني مررت برهط يستوقفوني مدعين أن سيارتهم تعطلت، وتالله لن أقف في هذه الظلمة وبين المهلكة، فكيف لقوم في وسط الأسبوع يسلكون طريق قريننا؟ وما وجدت دواءً إلا بزيادة سرعتها، فكنت كقول امرؤ القيس:

كجلمود صخر حطه السيل من عل

حتى نزلتُ إلى قريننا واطمأن قلبي، وسكنت جوارحي وثبتَ عقلي، فتذكرت الله حتى وصلتُ مزرعتنا وكان الليل قد تمّ والهدوء عمّ، فنزلت ولاح لي شيء فرفعت

رأسي، ووجدت الرهط نفسه عند مجرى سيل مزرعتنا، فصرت كقول المتنبي:

أنا صخرة الوادي إذا ما زوحت

وركضت متوهمًا اني سأسبق الجنّ وبغلقى للأبواب سيصدهم عني، فلما هدأت وحدثت النفس: كيف لهم أن يعرفوا طريق مزرعتنا؟ وحينها سمعتُ أشخاصًا يضربون الدَّرَج بأرجلهم حتى خفت أن البيت يتصدّع، فتذكرت قول الشنفرى:

و هلٍ لِحَتَفٍ مَنِيَّةٍ مِنْ مَصْرِفٍ

فخرجت بعصا بشمالي معكفًا حواجبي ونافخًا صدري فلم ألقَ أحدا، ولم أنم ليلي ذاك.

1.10- ليس بشعر لأبي قلمون

بينما كنا نتحدث في مجمع الصعاليك وما فينا إلا الصعلوك وأخوه، إذ أرسل مُرسل شعرًا لعوام القوم، فقال رعد قولته المعهودة: شاعر في أرض بلوط ليس بشاعر، وشاعر الأرقام ليس بشاعر، إن شاعرًا ينشر للناس ويجعلون له الإعجابات لا يكون شاعرًا حقًا.

فقال المرسل: ولكن الزمن تغير، فأين تريده يقولها؟ كما أن الشعراء في تلك العصور ينشدون الشعر في الملوك طمعًا في عطاياهم.

قال رعد: لا، الشاعر لا يكتب ليستحسنه غيره، لا يقرض على هوى العوام ولا على هوى الخليفة بل يقرض لنفسه وعلى هواها، وكذا لا يرتجي استحسانها فهي ستنااله على كل حال، أما هؤلاء فيكتبون للعامة وابتغون إعجابهم ويستمرون في الرداءة والسخافة طالما أعجبت الناس، ما صارت هذه في العصور الأول، هذا الذي يبتغي استحسان العامة لن يكتب شعرًا حسنًا، لأنه ليس من هواه محضًا، إنما تكلفه إرضاءً للعامة.

قلت: لهذا الشاعر في عداد العباقرة، تشابه كل العباقرة الذين رأيتهم بأنهم لا يبالون بالناس، إنما يفعلون ما ترتضيه نفوسهم، العبقرى منعزل وبعيد عن هراء العامة.

فقال رعد: ثم تقول: ولكن ليس كل منعزل عبقرى. بالله اسكت واعفنا من اقتباسات الروايات. فأعفيته.

1.11- حب تدمير لرعد

بينما كنت وزوجتي التي لم يرزقني الله بعد على جبل قرب مستوقد في الليل قلت: يا حسن تدمير. فقالت: تحب تدمير؟ قلت: إي والله إني أحب تدمير. فقالت: يعني تحب تدمرية؟

قلت: لا لا، أردت أني أحب تدمير، كم أحب تدمير. فقالت: ما من شيء اسمه أحب تدمير، تقول أحب جو تدمير أحب طقسها لا أحب تدمير. فنظرت إلى السماء وقلت:

يتبعه الثور من كواكبه
كواكب تشرق فوق غاربه
تجعله الروم له سناما
والعرب فيه تكثر الكلاما
وهي لديهم بالثريا تسمى
وقد تسميها جميعا نجما
وهن أيضا من منازل القمر

يعرفها اهل البوادي
والحضر يتبعه نجم عظيم ازهر
يزينه نور ولون احمر
مستحسن ذو منظر انيق
يعرف بالمجدح والفنيق

-باب ما جاء في المخارج

1.12- الآراء لابن المهلهل

بينما كنت أتذكر ماضي وأنظر في أقوالي وآرائي التي تبدلت، ورأيت التباين الكبير عمّا أقوله الآن، أدركت عدم لزوم إبداء رأيي في كل صغيرة وكبيرة، وليس من الحكمة الخوض في كل حديث، فإن فعلتُ حملتُ معي عبء تصحيح ما أبديته سابقاً أمام الناس، وهذا الواجب فعله إن تبين لك ضلالاً ما كنت تقوله. هذا التصحيح باعتبار أصحابك سيكون مرهقاً، فكيف الآن والمغريات كثرت، وحب الظهور قد أصبح منشوداً، ووسائل التواصل سهّلت وصولك إلى الناس في العالم؟ فأكثر آرائك لو كانت عندك فقط، لسهّل تصحيحها. لكن أن تُبدّيها لمن هبّ ودبّ، فلن يصعب عليك تصحيحها عند الناس فحسب، بل وسيصعب عليك تغيير كلامك القديم خاصة بعد تعصبك لرأيك. وكان يمكنك أن تزيح عن كاهلك جُلّ هذه المشقة بسكوتك ليس إلا، عن غير الضروري وعمّا لست بأهل للكلام فيه. فكل حكم تبديه هو قيد تضعه على نفسك، فلا تتعصب لرأيك وتذكر كيف تغيرت وآراءك، فقد أدركت أن التغير قدّرك وآراؤك لا يقر لها قرار، وهذا من أصل خلقة الإنسان الذي تعجنه التجارب، وتخزه الانتكاسات.

قال رعد: إن لزم التعصب لحق فعليك ذلك، واشدد على رأيك فهو من القوة إن أحكمته، ولكن ترو به وامتهله حتى تخرجه، فتجزم به، فإن أخطأت بعدها فقد اجتهدت، وإن أسرفت في الآراء عسر عليك ردها بعد حين فاقصد كما قال الكاتب، وإن رأيت من مكلمك رأيا ركيكا فهذا يضع من قدره.

2- مقالات هريرة لأبي قلمون

2.1- الخوف

بينما كان العالم عالمًا فشا فيه وباء الوحدة، ورهبة الناس حتى قال بعضهم: سُكِنِي بالوعة ولا صعود منصّة، قامت هريرة فيه وقالت: اعلموا -عافاكم الله- أن الخوف صنوفٌ شتى، فمنه ما يكون من علوّ شاهق، ومنه ما يكون من خطاب القوم، وإن أكثرنا يطوف حاملاً خوفه، لكنه يتغافل، ويؤثر الجلوس في ركن اعتاده، وهو الراحة، والاطمئنان فيها، على أنه لو جرب ما يخشاه لانقلب كيانه، وتبدّل حاله، ولعلكم تستعظمون قولي، لكنني أقص عليكم مني، لا عن غيري، وما جرّبه بنفسي، لا ما تناقلته عن سلفي،

كنت أخشى الخطابة، بل أرتعد من وقوفٍ بين خلق كثير، وحسبت لزمن طويل أني غير مضطرة إليها، وأنها أمرٌ لا يعني، فأثرت القعود، ومكثت في الطمأنينة وألفتها، غير أن آثار خشيتي ظهرت تباعاً، فكنت أخرج من الجواب في الفصل، وأتخاشى رفع الصوت، ولو كنت قد أعددت للدرس إعداداً جيداً، وذاك لأنني كنت أخشى الزلل، وأحسب أن زلة حرفٍ أو كلمة ستسقطني من أعينهم، وذات يوم دخلت معلّمتنا، وأخبرتنا عن مسابقة للإذاعة، كل فصل يُقدّم سيرة، وأفضلهم يُكرم بجائزة، فلما خرجت المعلمة، علت الأصوات من حولي، ولكن لا أحد اهتم بالمسابقة سواي، فإني رأيت فيها فرصة لإذاهب روعي، فكنت بين أمرين: أن أستكين كما فعلت دوماً، أو أن أقبل على الصعب، ولا أهابه، ولم ينقض الدوام حتى كنت قد فاتحت المعلمة بالالتحاق، أنا وجماعة من الزميلات، لم يكن عندي تدبير، ولا رأي واضح، لكنّ في قلبي إصراراً أني أريد أن تجاوز هذا، لا لكسب اليد، بل لكسب النفس التي لا تُعدّل، ثم اخترت حديثاً اسمه "أولى العتبات"،

استلهمته من كتاب عن صنعة الكايزن، وكتبت الخطاب، وقسمت الشؤون، وأصررت أن أكون من المُلقيات، تدرّبت، ووجدت أن الإذاعات غالباً ما تكون مملة، لا تُنصت، فأردت أن أحدث شيئاً، أن أسمع الصم، فوجدت ضالتي في رجل اسمه محمد القحطاني، كان يخشى مثلي، ثم صعد فأصبح المقدم في الخطابة على العالم عام ٢٠١٥، فرأيت لقاءاته، وسمعت خطاباته، فتعلّمت منه كيف أُلقي كلاماً يُنصت له العوام خال من التصنع والتكلف، قلت: إن أردت أن يسمعي الناس، فلا بد من مخاطبتهم بلسانهم، وأدخل إلى قلوبهم من باب اليُسْر، لا باب التفلسف، ولما جاء اليوم الموعد بعد طول انتظار وكثرة تدريب، وتخوف ووسوسة، وقفت أخيراً على المسرح، وما إن فتّحت حتى حدث ما أخشاه، تعطل المصداح والسماعات، وحسبت أن يومي ضاع فكدت أقع، لولا أن خرجت المعلمة وسألت الطالبات: "أتردن المواصلة؟" فصحن: نعم!

فوقفتُ، وتكلمت دون مصداح، ولا ورقة، وبلسان عامي وما إن فرغت، حتى دوى تصفيقٌ لم أسمع مثله قطّ، وعدت إلى الفصل والعيون تلاحقني، والرفيقات يشين عليّ ثناء ما عهدته من قبل، ومن ذاك اليوم اختلفت غايتي، وتبدّل التخصص الذي كنت أنويه، فقد عرفت في نفسي موهبةً لم أكن لأبصرها، لولا أنني ألقيت الخوف.

2.2- في التغير وسبيله

قالت هريرة: لطالما رغبت في التغير وتمنيت بلوغ العلا، غير أنها ظلت رغبة بي ولم تحق، وما إن بدأت في السعي إليها أنتكس وأعود للأول، بيد أنني كلما أرجع إلى البداية أتعلم أمراً جديداً في نفسي، وأقترب الشيء اليسير من مبتغاي، وقد جمعت هذه الأمور في رسالتي هذه، ولو شئت لأفضت وأوردت، ولكنني أخشى أن أثقل عليك وأثقل على نفسي فيما لا يتطلب الاثقال. اعلم إن أهم أمر عليك جعله حلقةً في أذنك، أنك لست المظلوم، ولم يتكالب كل أهل الدنيا عليك ليمنعوا عنك غايتك، بل إنما إخفاقاتك هذه كلها

وفشلك، من جناية نفسك وقعودك لها واتباعك لشيطانك، فإذا عرفت هذا قومت نفسك بدل أن تلوم غيرها دون جدوى. هذه واحدة، أما الثانية، فهي أنه عليك ألا تستعجل الحصاد وتحسب أنك تستجني ما تزرع في يومك، بل إنك تحصد ما زرعته في وقته، وكل شيء له وقته. قيل: وما الثالثة؟ قالت: الثالثة ستعرفها أنت لما تخيب.

2.3- الثقة

قالت هريرة: تذكر يوم دخلت غرفة فيها ناسٌ كثير، فتوترت، وما عرفت تمشي، ولا تتكلم كما يتكلم الناس، ترى الناس ينظرون إليك، وكلُّ يريد النظر فيك، هذا ما قاسيته قديماً، كلما أدخل مجتمع ناس، فتراني ساكته، أتجنب نظر الناس ما استطعت، بيد أني اليوم، اشتدت نفسي، وصرت امرأة متمكنة، وهذا واضح أمامك.

قلت: ما أوضحها من ثقة بالنفس، تجعل صاحبها ينشر مقطعا عن النسوية، ليس فيه إلا التفاهة، شُحِنَ بالأغلاط والأكاذيب، ووهم النساء بجرأة، فاللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، فإنما هي من سخافة العجم، أما نحن، فنثق بالله، ولا نركن للنفس وهواها، جاء في لسان العرب: "الثَّقةُ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ وَثِقَ بِهِ يَثِقُ، بِالْكَسْرِ فِيهِمَا، وَثَاقَةً، وَثَقَّةً، ائْتَمَنَهُ، وَأَنَا وَاثِقٌ بِهِ، وَهُوَ مَوْثُوقٌ بِهِ، وَهِيَ مَوْثُوقَةٌ بِهِ، وَهُمْ مَوْثُوقٌ بِهِمْ". فكيف تأمن النفس وسلطانها؟ قالت: الثقة بالنفس، أن تتكلم بلا خجل، ولا خوف أمام الناس، فدعني من كلامك الفارغ، واسمع وتعلم، أولاً: فاحكم على الكتاب من غلافه، مهما قلنا: إن الجمال في الباطن، والمظاهر لا تغني، فكل هذا سيصير هباءً لما تدخل مجتمع ناس، فالناس لا ينظرون إلى جوهرك، بل في وجهك، وملابسك، وشعرك، وعموم مظهرك، فإن دخل عليك رجلٌ في ثياب رثة، ستقول: إنه فقير مسكين، وإن دخل عليك رجلٌ في ثياب لطيفة، ستقول: هو من الأغنياء، فالبس ما يعجب الناس.

قلت: إيه، تقصدين أن تبصر بنفسك، وتعرف قدرها، لا أن تثق بها، لكن اسجلت كلمة من خزعات التنمية البشرية، وما زلتِ تقولين كلاماً معروفاً، فكما في أمثال: كُلُّ مَا يُعْجِبُكَ، والبس ما يُعْجِبُ الناس.

قالت: ما قلتُ إني أتيتُ بجديد، لكني أشرح القديم بالشرح الجديد، فلم يرد في الأمثال أن لبس الملابس الناعمة، يوثقك بنفسك، فتمشي كأنك ملك من الملوك، ثم إني نظرتُ في أفعال الناس، فبصرتُ بها، وعرفتُ من طبعه حاد، ونفسه عالية، ومن نفسه أسفل السافلين، ولا أقول إنه شيء خاف عن الناس، بل هو مشاهد، ولكن قد تُعقل كتابته، وترتيبه كما رتبته هنا، فقد جلست معنا فتاة، كانت تنزوي بنفسها تخفيها، وإذا مشيت تمشي سريعاً، وهذا ملاحظ عند أغلب الناس، ولكني أضربه لك مثلاً، وأقول لك: ألا تفعل هذا، وتنظر إلى حركاتك وسكناتك، وألا تظهر إلا الثبات، ولكن حذار أن تفرط فيها، فتصل إلى التكلف، مثل فتاة أعرفها، تطالع الناس باحتقار، يديها وراء ظهرها، كأنها تراقب قطيعاً من الغنم، كرهها قلبي، وأحسستُ منها غروراً، لهذا لا تفرط في وثوقك، ووازن بين الأمرين، كذلك ليست المشية والجلسة وحدها التي تبين رزانتك، فقد تفعل فعلاً غريباً، يظهر ذلك، مثل أن تخفي وجهك بالكمامة، وهذا استفشى بعد الوباء التاسع عشر، غير أن حله يسير، وهو أن تبعد الكمامة عن وجهك، ولا تبالي، أو أن تخفي عيباً تراه فيك، مثل أن تغطي جبهتك بشعرك، وهذا يكثر عند البنات، أو تضع يدك على فمك عندما تضحك، لتغطي تقويم الأسنان، والعجيب أنك بهذا، تظهره أكثر، فلا تحجل من هذا، وتنغص على نفسك، فالحياة أيسر من هذا،

ودعنا من المظهر، فإني أقول لك أمراً مهماً آخر، فاسمع، تعرف الثرثار؟ الذي يحكي لك قصصاً صارت له، ونكتاً، وأنت ما تعرفه أصلاً، قد تقول: إنه مخالط، وتتمنى أن تصير مثله، لكن إن نظرت في الأمر، ترى أن هذا الذي لا يسكت، ويتكلم عن معيشته أمام الناس، ما فكر أن هؤلاء ما أعرفهم، ولا أعرف عنهم شيئاً، وأول مرة أراهم، وأكمل ثرثرتهم، وكأنه مع ناس قريبين، تعجبني السهولة والأنس مع الناس.

قلت: الإنسان مدني بالطبع، ولا يستغني عن المؤانسة. قالت: ولا أتصور أن أروح لمجتمع ناس، وأظل ساكتة، لا أنبس ببنت شفة، لكن كثرة الكلام لا تفيد، فالكلمة تجر أخرى، وعلم بعد علم، فكل الناس صارت تعرف عيشك، وطبعك، وأسرارك، وأنت ما تعرف شيئاً عنهم.

قلت: السكوت أحسن من الهذر، الذي لا يُرجع منه إلى نفع. قالت: فإن أرادوا بك كيداً، فأنت فتحت الباب لهم على مصراعيه بفعلك هذا. قلت: المال السائب يعلم الناس السرقة.

قالت: دعني منك، ومن حكمك، واسمع شرحي: الألفة حلوة، ولكن مع الناس الثقة، ليس أي أحد تتكلم معه عن حياتك، وأهلك، وأصحابك، فلماذا انتبهوا، إلى أن الذي يُحسن السماع، ولا يتكلم إلا الحاجة، يُقدّره الناس، أما الذي رخص سلعته، فالناس لن يقدروها، ولا أقول لك أن تصير غريب الطبع، يخاف الناس التكلم معك بسبب صمتك، بل كن محبوباً، لا تبخ بكل ما عندك في أول لقاء، ولا تتكلم عن خفايا معيشتك، أنصت، ولا تتكلم إلا إن دعت الحاجة، لأن الناس يحبون الحديث عن أنفسهم، ولا أحد يبالي بما فعلت في الإجازة، ولا أين رحت في ذاك اليوم، فلما تظهر لهم الإنصات، سيقدرّونك كل التقدير، فلا تكن غريب الطبع، كن غامضاً. قلت: لا أنتِ الغريبة، ولا أنتِ الغامضة.

3- الرد على المخبوطة بالنسوية لأبي قلمون

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الهادي لسبيل السلام المُخرج من ظلمات الباطل، لنور الحق والصلاة والسلام على رسوله ومن اتبع رضوانه إلى يوم الدين أما بعد،

نسأل الله لك الهداية ومجانبة الشبهة وعلماً يكون لك حرزاً من الشيطان، فقد وصلني مقال لك تمدين فيه النسوية، وتقولين أنها موافقة للشريعة السنية، وهذا لا يقوله إلا من أصابه وسواس وألبس عليه شيطان، فكان هذا الباعث لأكتب رسالتي هذه لعلك ترجعين عن مقالتك هذه، ويرجع من هم على شاكلتك والله الموفق لما فيه خير.

في أصل النسوية:

أول ضلالك أنك قلت أن النسوية نشأت من حرمان المرأة من التعليم والعمل،

فأنشئت مضطرة لا مختارة، والإسلام ضمن للمرأة حق التعليم والعمل ومن الصحابيات من عمل في التجارة، مثل أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، وفي هذا خلط عجيب، فليس هذا كل ما في الأمر، فلا تنحصر النسوية في هذا بل هي مخالفة للإسلام، ترى العقل فوق الوحي، وتحسب أن المرأة قُطب الوجود، وتُقدم الحرية على الشرع، فتراها تُريد المساواة في الميراث وتنكر قوامة الرجل وغيرها من المنكرات، فهي بهذا تخالف الإسلام في أصوله قبل فروعها خلافاً بيناً، لا ينكره إلا من اتبع هواه، وتلقف كل ما عند العجم من باطل ثم أراد أن يُدخله للإسلام فخدع نفسه، وخدع غيره، فتراه يضرب لك أمثالا في غير محلها، ويستشهد لك بآثار السيرة التي توافق هواه، ويتجاهل ما يخالفه، وإن لم يكن لهذا سبيل يتكلف المعاني ويختلق القصص التي تنصره، فتراه يقارن لك صحابية جليلة بنسوية كاسية عارية، ويعذر الموظفة المتبرجة المخالطة للرجال في يومها كله، والأصل في ديننا هو قرار المرأة في بيتها وعفتها وحيائها، أم غير هذا فله مقامه: فأم المؤمنين كانت تستأجر من يتاجر بماله، ولا تزاحم الرجال وتخاصمهم، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: 33] وروى أبو الأحوص عن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان". أخرجه الترمذي.

وعن أنس رضي الله عنه قال: جاء النساء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقلن: "يا رسول الله، ذهب الرجل بالفضل والجهد في سبيل الله، فما لنا عمل ندرك به عمل المجاهدين في سبيل الله؟" فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قعدت -أو كلمة نحوها- منكن في بيتها، فإنها تدرك عمل المجاهدين في سبيل الله". رواه البيهقي وأبو يعلى.

في أن سد الذرائع قاعدة معتبرة في الشريعة:

ثم هرفت بما لم تعرفي وقلت: أن المجتمع ما زال إلى الآن يمنع عمل المرأة في كثير بيوت، خوفاً من الفتنة أو حفاظاً على بناتهم على أنه لا حكم بالإسلام يتغير لمجرد سد ذريعة، أو تجنباً للفتنة، ولو سكت لكان خيراً لك؛ فسد الذريعة قاعدة معروفة في الشريعة، ولا ينكرها إلا كذاب يقول ما ليس له به علم، دلت عليها نصوص

كثيرة من القرآن والسنة، وممن أطال في ذكر تلك الأدلة: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، رحمهما الله، بل عدّ ابن القيم رحمه الله باب سد الذرائع ربع الدين، ومن هذه الأدلة:

1- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَضُرُّنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ النور / ٣١. فمنع النساء من الضرب بالأرجل، وإن كان جائزاً في نفسه؛ لئلا يكون سبباً إلى سماع الرجال صوت الخلخال، فيثير ذلك دواعي الشهوة لديهم،

2- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكف عن قتل المنافقين، مع كونه مصلحة؛ لئلا يكون ذريعة إلى تنفير الناس عنه، وقولهم: إن محمداً يقتل أصحابه، فإن هذا القول يوجب النفور عن الإسلام، ممن دخل فيه، ومن لم يدخل فيه، ومفسدة التنفير أكبر من مفسدة ترك قتلهم، ومصلحة التأليف أعظم من مصلحة القتل.

وللاطلاع على غير ذلك من الأدلة ينظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (6/174) - (180)، وإعلام الموقعين لابن القيم (3/126)، فقد ذكرا رحمهما الله من الشواهد والنصوص، ما يدل على اعتبار قاعدة سد الذرائع.

وقد اتفق العلماء رحمهم الله على العمل بقاعدة سد الذرائع في الجملة، قال الإمام القرافي رحمه الله: "فليس سد الذرائع خاصاً بمالك رحمه الله، بل قال بها هو أكثر من غيره، وأصل سدها مجمع عليه".

شكوى وتدمير دون صنع:

أما باقي الكلام فهو شكوى لا معنى لها، خلاصتها أن قوانين الزواج الظالمة وإنكار المرأة وتلقيبها بلقب زوجها، كان سبباً آخر لثورة النساء، ثم وجدت أن هذا ليس ما

عليه بلدان العربية، فذكرت الزواج بالغصب، وأن المرأة تزوج دون إذن وإن كانت صغيرة ليست أهلاً لتحمل الحمل، ثم ذكرت أنه لا بأس بالأمر، ولكن البنات يختلفن فبعضهن أهل لهذا العبء، وبعضهن لسن أهلاً لهذا، وعدت للتعليم وقلت إن منا من حرمها أهلها من التعليم والدراسة بالخارج، ولا أرى في كلامك هذا إلا تدمراً سمجاً، فأنت تعرضين الخطب ثم تحلينه ولكن مع شكوى وتدمير.

في أن النقاب فرض:

قلت: لا ذنب لامرأة تخلت عن النقاب واتبعت الحجاب، لأنها بحثت ووجدت أن النقاب ليس فرضاً، غير أنه ليس كل من بحث قد يصل للصواب، فقد يكون بحثاً غير متحرر الهوى لا يأخذ إلا بما رضي به هواه، وهذا هو الحاصل، فهي لم تجب عن كل الأقوال وتستعرضها وتفاضل بينهما وتأخذ بالأصح وما هي بأهل لهذا، بل أخذت القول الذي أعجبها ثم قالت: هأنذا بحثت، فنعوذ بالله من الزيغ واتباع الهوى.

في أن المرأة لحم على وضم إلا ما ذب عنه:

وبلية أخرى أنكن لا تكففن عن مقارنة أنفسكن بالرجال، فتقلن إن الرجل إن أخطأ فهو المجرم، أما المرأة فيتحمل جرمها أهلها كلهم ط، وكأن المرأة ليس لها عقل تفكر به، والحق أن هذا الأمر حسن، وهذا عبء ثقيل حُمِّل به الرجال ولكنهم أهل له بإذن الله، وقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: 6]. وقال ﷺ: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته... والرجل راع في أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته". متفق عليه. وقال: "إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ ذلك أم ضيعه؟" رواه النسائي. وغيرها من الأحاديث أن الرجل مطلوب منه صون عرضه والذب، وهذا هو الرجل الحق، وقد قيل: المرأة لحم على وضم إلا ما ذب عنه، والوَضْم هو: خَشَب يوضع عليه اللحم من أجل تقطيعه فيأتي عليه الذباب، فالمرأة مثل اللحم إن لم تذب عنه وغفلت تعدو الذئاب عليه. لهذا لا بد للمرأة من محرم في سفرها، وهذا ما لا يستسيغه من لَوَّث الغرب عقله ومَرَض قلبه، قال ابن تيمية: "فاشترط ما اشترطه الله ورسوله أحق وأوثق، وحكمته ظاهرة، فإن النساء لحم على وَضْمٍ إلا ما ذب عنه، والمرأة مُعَرَّضة في السفر

للصعود والنزول والبروز، محتاجة إلى من يعالجها، ويمسّ بدنّها، تحتاج هي ومن معها من النساء إلى قِيَمٍ يقوم عليهن، وغير المحرم لا يُؤمّن ولو كان أتقى الخلق؛ فإن القلوب سريعة التقلب، والشيطان بالمرصاد، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلا كان الشيطان ثالثهما".

في أوهام تطوير الذات:

ومن أعجب ما قلتُ أن المرأة إذا بقيت في بيتها لن تكسب مهارات تواصل على قولك، ولن تربّي جيلاً عالماً، وما صارت هذه في العصور، إنما هي من الشعوذات الجديدة ومن التلبّيس وخلط الأمور، فمن قال أن المرأة لن تخالط أحداً؟ نحن نقول أنها لن تخالط الأجانب، وليس تنعزل عن الناس عامة، ستخالط أقرباءها ومحارمها وصديقاتها، وستصير خير من السلف، وبوسعها التعلم فهو غير محصور في تعلم الجامعة، وفي خارج البلاد، بل تتعلم العلم النافع الذي ينفعها في دينها ودنياها، وهذا فيه كل الخير.

وأحسب أنني رددت على جل الكلام ففي هذا كفاية والسلام.

4- حكايات الصعاليك

لرعد

5.1- عن حفظ المعلقة ونفعها

يحكى أن صردا كان في كلام مع عبد الرحمن واضح السيرة مما يلي: قال صرد: من مثلك يحفظ في التاسعة عشر معلقة امرئ القيس؟ فقال عبد الرحمن: ثم؟ حفظتها؟ فماذا فعلت وما قد أنجزت؟ فقال صرد أدع الجواب لرعد. فقال رعد: إذا حفظت القصيدة، تنجس مع القريحة عند الشخص، وتدخل في طبعه وسجيته في اللغة، وتصير من مخزونه في التراكيب والأساليب، ونظامها ونهجها وأسلوبها كله ينطبع عليه، وهذا لا يلاحظ أثره مع ثبوته، بقصر الزمن، ولا يظهر حتى يتبصر المراد بفن الكلام ويعمل آله فيه، فيرى علو كلامه بالقصيدة وما نفعته فيه، وهو

إثباتا مثله مثل الكلام الذي يحفظه الرضيع ويتعلم، ولا يظهر له خطأه وصوابه حتى يعي ويفهم ويستنتق على مرور حياته وتحول آتته.

5.2- عن تغيير اسم للعربية

يحكى أن أحد الصعاليك كان يتكلم مع رعد عن تغيير اسمه للعربية، وتغيير مجلس له في فن ما باسم عربي يختاره، فيقول كيت وكيت العربية ليست لهذا، وهذا معنى خاص أريده، وله قصة طويلة، وليس هذا ولا ذا من الأسماء كما أريد أنا، وإني مضطر، إلى آخره مما لا يستقيم من اللغط الذي يغشاه الهوى وإباء الطفل، فقال رعد غاضبا غضبة الهاب: كيف يستقيم عند صحيح العقل أن يؤثر لغة أخرى على لغته في موطن ما بداعي الجمال والضرورة والحاجة إلى معان يريد لها، ويتعذر بأعذار واهية لنفسه ويبقى في هواه متابعا وهو يتساهل ويتسامح ويرضى بغير بالكمال ويحب النقصان، وذلك نقصان في الفضيلة وعار بالرديلة، ووهي بالعزم، ألا إنك ضال شديد، وما أسوأ من ضلالك هواك، وتحبيذك وغض طرفك، ومراوغتك في الصغائر، فكيف تقوم للعظام؟ ولا تعوض عنك التزامات التزمته في مواضع عن هذا، مما تأمن نفسه به وأنت تخون عهدك بتلك، وتناقض نفسك! ألا إن شر الخلق المميع، قل أم كثر، الذي يتلاين ويتارك! أفلا تعرف شأنك؟

5.3- أعجوبة همال

يحكى أن همالا كان جالسا، وقلمما يقعد وإنما يحب الموت على الكراسي، فجاءه شاب مثله، فقال له: يا همال، أعطني أعجوبة. فقال له همال يجيبه تواضعا منه لخاطره، وهذا عجيب على همال، أن يبالي، ولكنه كان جميلا عليه: أتريدها في ذم أو غيره؟ فقال: الاثنين. فقال: ذاك رجل لا أحكي اسمه، هو في المجد نَحْرُ نَحْر. فقال له: كيف؟ فقال همال: نا حرام منحور؟ فأطرق الشاب زمنا... ثم أمسك رأسه. فقال همال: أنا كجدي الحطيئة: سلحتُ وحمّر النعم.

5- سؤال لرعد

س إلى رعد:

أستاذي أنا لما أريد كتابة قصة أو رسم رسمة أو تأليف موسيقى، أتخيل عالماً حقيقياً في ذهني تجري فيه الأحداث حقيقةً، فأتخيل الهيئة للرسمة أو القصة بكل تفاصيلها، وقد أستطيع يوماً تخيل القصة في لحظة لكن ما لدي حديثٌ وغير كامل ولم ينضج بعد لهذا. لا تكون لدي موهبة كافية لإخراج تحفة كتابية، لأن وجداني في تركيب العالم الحقيقي المتخيل شبه معدوم. فهل أنت إن أردت الكتابة لقصصك تكون لك حالة تخيل العالم هذه؟ لأنه إن لم يكن لك، فكتابتك هي إلهام محض أطلق عليه إن شئت إلهاماً ربانياً... هل تخيل العالم ضروري لكتابة قصة؟ وهل هناك من هم مثلي في الكتاب؟ لأن هذا ما لدي وهكذا كيف أتمكن من الكتابة.

ج رعد:

أنا يا أخي إنما تهيج نفسي عفوًا فيسلك قلبي طريقه، فقد يعدو من ذلك شبراً أو شبرين أو أشباراً أو يجتاز طرقاً أحياناً، وبكل من هذا يكون على حسب نشاط قريحتك وخمولها، مع ما قد روضتها عليه من الرياضة.

والقريحة تنمو كما أنها تستثار، هذان متلازمان، فكلما استثيرت نمت واستحكمت واستقوت. وأيضاً يكون لتخالج المعاني والصور للقصة في الذهن من الكتابة نصيب، فمرات يكون لي كما لك وأقصرُ، ومرات أواصل حتى يقطعني التعب، وأكون به في دنيا غير دنيائي كما ذكرت، وبقدر ما أكون بها يكون وجداني منتفضاً راغباً للإنشاء، فأنا مثلك وكل إنسان في هذا الأدب على هذا. وإلهام الله يكون لخاصة من خلقه، كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولأحوال يأتي فيها عباده أحياناً وهذا باب ليس الذي نحن فيه. وما أسلفت به لا يدل على افتقار موهبة، وإنما هو كما هو جلِّي نقص لآلاتك من رواية الشعر وكلام العرب، وحفظهما ومواظبتهما وتذوقهما، ولحدثة قريحتك على امتراس الكتابة، وإن الشهوة العالية التي لديك، دليل على علو الموهبة التي عندك.

والذي عليك جبرٌ هذا النقص شيئاً فشيئاً وإياك وترك الكتابة؛ فإنه يضر بحالك وينشف ماء أرضك، وينخر عظامك ويذهب ببعض ما قد جمعته.

ثم اعلم وع هذا:

إن كل حرف تطالعه عيناك بذرة لها نفعها المؤجل ولو بعد ألف حين! فلا تتعجل الفرق أبداً، ولا تقل ذاك ما يفلح، فإنه يجدي وحقيقته مدركة، ولقد قيل في هذا المعنى: إن الكتاب بالكتاب كالتمر، فهي إذا نزلت ببطن لم تشعر بها من شيء، ولكنها قد غذتك وقد تخللت مادتها بدنك، وإن مداومة التغذية بالتمر منفعة متحصلة بالتكدس والتراكم يجدها الصحيح يوماً، وما أنا كما تراني اليوم إلا بمثال التمرة.

7- تشيع الجنازة لابن المهمل

ما برحت ذاكرًا لك مُذ رأيتُك وما برحت صدودًا عني، أعلمت من أمري شيئاً أجهله؟ أم هل قرأت اسمك على جبیني قبل أن ينطق لساني فعلمت مودتي، فصرت تتمنعين تمنع القدر يابى أن يجري إلا فيما يسوؤني؟

لم أكن أنظر إليك إلا نظرات بعيدة وبعين المتعبة، نظرات كالماء المالح يُعطشك كلما شربت منه ولا يرويك. ليتك علمت هيامي بك، فلا زلت أراك كل مرة مثل المرة الأولى، فكأن الله يُنسيني إياك بعد كل مرة -وهو كذلك فعل-، لأعود فأراك أجمل. فعجبت من محبوب يزداد جمالاً بدوام النظر إليه، فتذكرت قول العباس بن الأحنف:

يزيدك وجهها حسناً إذا ما زدته نظراً

ثم تفكرت ماذا أملك منها، فخرجت خالي الوفاض، ذكرت أن الله شاء أن يُنسيني وجهها فاستبدلته بما أحب من القريض، وإني لا أذكر صوتها فرأيت لو أن رجلاً في الصحراء، وفي حر الصيف فرّت منه عيشه وقد ضلّ أياماً وطمئ حتى غارت عينه، فوجد بئراً لا يرى عليه أثر السقي ولا يرجى منه سقيا، فانصرف عنه ثم رجع على حيرة وشك فأدلى دلوّه يائساً، يتفكر في سيفه وأي وريد ينحر كيلا يتعذب في التيه والظما، فسمع صوت ضرب الدلو بالماء فاستبشر وكان الله وضع الأرضين في يده، فهذا والله صوتك!

فكل ما وضعته هو أوجد فعندما أذكرك لا استحضرك فردا، وإنما مع كل ما أملك من شجو وحنين ممّا ورثته من أجدادي العرب، فلم استأنس بذكرك قط، فقد كان يحمل نعش ذكرك الحزن وابن عمه الغلبة، والحنين وشقيقه الشوق. يحملون رفات ذكرك يسرون في كل مكان قد رأيته فيه فيزداد المشيعون، يأتي الشجو ثم يلتحق التوأم الهم والغم نمشي قليلاً فتغرب الشمس، فنرى نارا فذهبنا نقتبس فوجدنا عندها لحن الربابة مع النياح، فإذا به الترح يعزف والتعس ينوح والحسرة تبكي، بقينا نندب حالنا والراح تدور علينا حتى الصباح، فاغتنينا حاملين الجنازة فرأينا بركة ماء، فذهبنا نسقي فإذا بكلاب صيد تطارد ثورا حتى أردته، فاستوحشت فسقينا وفي قلبي ضيق، ثم انطلقنا وتبعنا غرابا ينعق حتى وصلنا إلى دار الحكيم، حيث أول مرة قد رأيته بأبهي حلة، فوضعنا النعش، ثم بدأنا نبحت عن أرض ندفنه فيها، فلم نجد أفضل من قلب يحتضر في حجرة مجاورة قد أزيل سقفها، فسألناه إن كان يرضى أن يكون مثوى أخيرا لذكرى نروم نسيانها، فقبل على مضاضة، توفي فوضعنا الجنازة فيه، وغطيناها بالأتراح والدموع والبؤس والأسى وشيء من الغربة. ثم أمرت بحجارة فوضعناها عند رأس القبر وكتبت عليها: غفا لك شوق بعدما كان أكبرا! فإذا بسحابة سوداء قد اظلت فوقنا فأمرت دما أسودا، فأرسلت الغراب يستقصي أمرها فإذا فوقها الشياطين يقيمون مأتما وحدادا، ويطوف عليهم الملائكة يعزّونهم، حتى الشياطين استعظمت هول الحال.

دفنت ذكرك _____ رى أروم نسيانها
ولكّي بانتظار النشور!

8- من عجائب الأندلس للبيب

اعلم يا أخي في زمن تفوق الإفرنج وتعبيد الناس بنظامهم العالمي، أن الناس تنطبق عليهم سنة لخصها ابن خلدون بقوله: «المغلوب مولع أبدا بالاقتراء بالغالب، في شعاره وزيه ونخلته و سائر أحواله و عوائده». بل وتجد المغلوب يتهم نفسه ويلقي كل شبهة على تراثه ودينه وتاريخه تطوعا، ثم إذا تأملت في الشبهات لا تجد لها إلا في كل ما خالف الغرب. أما محاسن الإسلام فهي ما مال إليه هوى الغرب واتفق مع

اعتقاده، بل وتجد صاحبنا المنهزم يرمي الإسلام بما ليس فيه، إما لجهل قاتم أو متعمدا التدليس. وقد وجدنا أهل عصرنا بتاريخ الغرب أعلم من تاريخهم هم، ويظنون كل جميل من الغرب وكل قبيح من غيرهم. ويعم الجهل في عصور الضعف ولا يعبأ الناس بتاريخ أمتهم، حتى يصير مطمورا بعجائبه وأسراره، وفوق ذلك ترى المغلوب في موضع التهمة ورد الشبهة دوماً، مع أن ما عنده قد يكون أحق وأفضل، ولكن هكذا الدنيا يُزين في أعين الناس بها القوي، ويغمط الضعيف، فهذا قول الشاعر:

يُقضى على المرء في أيام محنته
حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

ولما كان ذلك، رأينا أن نورد شيئاً من (حضارة الإسلام)، وقد يعنون بالحضارة: العمران، فهذا ما أوردناه من عجائب الأندلس الفريدة.

1. بِلْتَا طَلِيْطَلَة

البيلة حوض النافورة، وقد كان المهندس الفذ عبد الرحمن الزرقالة الأندلسي، قد ابتدع حوضي نافورة في تجويف من زجاج على نهر في طليطلة، أما العجيب أن منسوب الماء في الحوضين يتماشى مع تقويم القمر: فإن كان أول يوم في الشهر، كانت نسبة الماء واحداً من ثلاثين، فإذا صار القمر تربيعاً انتصف الماء في الحوض، فإذا صار بدراً اكتمل، ومن بعدها يتناقص الماء حتى إذا اختفى القمر وصار محاقاً، لم يعد في الحوضين ماء. يقول المقرئ: «وإذا تكلف أحد حين تنقصان أن يملأهما، وجلب لهما الماء ابتلعتا ذلك من حينهما؛ حتى لا يبقى فيهما إلا ما كان فيهما في تلك الساعة، وكذا لو تكلف عند امتلائهما إفراغهما ولم يبق فيهما شيء ثم رفع يده عنهما، خرج فيهما من الماء ما يملؤهما في الحين». حتى أن ألفونسو السادس لما ملك طليطلة أراد أن يعلم كيف تعمل وتحرك البيلتان، فأمر بقلع أحدهما فبطلت حركتها ولم يعلموا سرها.

2. قصة تعليم معجزة قبل هِلن كِلر

اشتهر في الناس قصة هلن كِلر الصماء البكماء، التي اجتهدت معلمتها حتى علمتها الحروف بمجسمات تجعلهن تلمسها بيدها فتفهمها، وقد وُصِفَتْ قصتها: "بمعجزة الإنسانية". العجيب أن لنا السبق في ذلك، فانظر الخبر الذي أورده ابن حزم قبل ثمانية قرون! «ولقد أخبرني مؤدبي أحمد بن محمد بن عبد الوارث -رحمه الله-، أن أباه صوّر لمولود كان له أعمى، ولد أكمه، حروف الهجاء أجراما من قير، ثم ألمسه إياها حتى وقف على صورها بعقله وحسه، ثم ألمسه تراكييها، وقيام الأشياء منها، حتى تشكل الخط، وكيف يستبان الكتاب، ويقرأ في نفسه. فرفع بذلك عنه غمة عظيمة، وأما الألوان فلا سبيل إلى ذلك فيها، وليس إلا الإقرار بما قام به البرهان، وإن لم يتشكل في النفس أصلا».

3. مجلس أنس

أرأيت أني سبق وأردفت لك عجيبة من عجائب الهندسة في البيئتين، فهالك أخرى، أما عن مجلس الأنس هذا، فهو مجلس سقاية وخمر! والإخبار عنه ليس إقراراً بالخمرة، بل من باب نقل ما فيه من الطرافة والإبداع، سأصفه لك ثم سأردف وصف الشاعر ابن حمديس الصقلي له، الطريف الممتع.

لعلك رأيت مطاعمَ حديثة ما عليك فيها إلا أن تجلس على الكرسي، أما الطعام فيدور حول المطعم تسحبه الآلة وأنت تلتقط ما أحببت منه، ثم تدفع الحساب لاحقاً. مثله كان مجلس السقي هذا، كان دائرياً وفيه مجرى ماء، يجلس كل واحد منه على طرف، ويجلس الساقون الذي يصبون الخمر في أوله، يضع الساق الكأس في الماء فيجري به حتى صاحبه، فإذا فرغ من الكأس أعاده، فيجري حتى الساق.

وصف المجلس الشاعر ابن حمديس الصقلي بهذا الوصف الممتع:

وساقية تَسْقِي النَّدَامَى بِمَدِّهَا
كُؤُوساً مِنَ الصَّهْبَاءِ طَاغِيَةِ السُّكْرِ

يَعْوَمُ فِيهَا كُلُّ جَامٍ كَأَنَّمَا
تَضْمَنَ رُوحَ الشَّمْسِ فِي جَسَدِ الْبَدْرِ

إِذَا قَصَدْتُ مِنَّا نَدِيمًا زَجَاجَةً
تَنَاوَلَهَا رِفْقًا بِأَنْمَلِهِ الْعَشِيرِ

فَيَشْرَبُ مِنْهَا سَكْرَةً عِنْدِيَّةً
تُثَوِّمُ عَيْنَ الصَّحْوِ مِنْهُ وَمَا يَدْرِي

وَيُرْسِلُهَا فِي مَائِهَا فَيُعِيدُهَا
إِلَى رَاحَتِي سَاقٍ عَلَى حُكْمِهِ تَجْرِي

جَعَلْنَا عَلَى شَرْبِ الْعُقَارِ سَمَاعَنَا
لِحُونًا تُغْنِيهَا الطُّيُورُ بِلا شَعْرِ

وَسَاقِينَا مَاءً يَنْبِلُ بِلا يَدٍ
وَمَشْرُوبَنَا نَارًا تُضِيءُ بِلا جَمْرِ

سَقَانَا مَسَرَّاتٍ فَكَانَ جَزَاؤُهُ
عَلَيْهَا لَدَيْنَا أَنْ سَقِينَاهُ لِلْبَحْرِ

كَأَنَّا عَلَى شَطِّ الْخَلِيجِ مَدَائِنُ
تُسَافِرُ فِيمَا بَيْنَنَا سُفُنُ الْخَمْرِ

وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا فِي تَطَرُّفٍ لَدَّةٍ
وَخَلَعَ عَذَارٍ فِيهِ مُسْتَحْسَنُ الْعَذْرِ

العجائب الثلاث منقولة بتصرف من كتاب: في أروقة التاريخ المجلد الأول ص: ١٧٠،

للكاتب محمد إلهامي، والعجائب لا تختص بهذا المصدر إنما نقلتها منه.

9- مفاخرات الحاسب لأبي قلمون

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي رَزَقَنَا عقلاً نُعْمِلُهُ، وَمَلَكَاتٍ نَشْحَذُهَا، وَجَعَلَنَا خُلَفَاءَ فِي هَذِهِ
الْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِهِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ.
أما بعد، فَإِنَّ مِنْ أَعْجَبِ أَقَاصِيصِ هَذَا الزَّمَانِ الَّتِي أَرَدْنَا اسْتِجْلَابَهَا فِي هَذَا الْكِتَابِ:
مُفَاخِرَةُ لِنَكْسٍ وَالْوَنْدُزِ، وَقَدْ نَسَجْنَاهَا كَمَا نُسَجَّتْ مَفَاخِرَاتُ الصَّيْفِ وَالشِّتَاءِ،
وَالْغَنَمِ وَالْبَقَرِ، وَالْمَاءِ وَالْهَوَاءِ، فَجَلَّتْ حَدِيثًا مُظَرَّفًا، يُخَفِّفُ عَنِ الْمَهْمُومِ، وَيَنْتَفِضُ لَهُ
الْعُصْفُورُ، وَلَا يَعِدُّمُ الْفَائِدَةُ.
ثُمَّ إِنَّهُ فِي نَادٍ مِنْ نَوَادِي التَّقَانَةِ، لَا تَسْمَعُ فِيهِ إِلَّا الْحَدِيثَ عَنِ الْآلَةِ، تَخَاصُمَ خَصِمَانِ
فِي أَمْرِ الْوَنْدُزِ وَلِنَكْسٍ؛ فَالْأَوَّلُ قَدْ اسْتَلَبَتِ الْأَدَاةُ مِنْ عَقْلِهِ جُزْءًا، وَزَجَّتْهُ فِي
سَفَاسِفِهَا، وَأَمَّا الثَّانِي فَيُسَخِّرُ الْآلَةَ وَلَا تُسَخِّرُهُ، وَهِيَهَاتَ الْعَاجِزُ مِنَ الْحَازِمِ.
قَالَ الْأَوَّلُ، صَاحِبُ الْوَنْدُزِ: إِنَّ الْوَنْدُزَ هُوَ مَا تَعَوَّدَهُ النَّاسُ اسْتِعْمَالًا، وَتَلَقَّاهُ
صَغِيرُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ، وَمَا تَنْتَفِعُ بِهِ الْمَتَاجِرُ وَالْمَصَانِعُ، وَالشَّرَكَاتُ وَمَشَارِيعُ الْبِلَادِ؛ فَأَيُّ
أَنْتَ لَتَقُومَ لَذْمُهُ؟ وَتَرْجِرَ الْخَلْقَ عَنِ اسْتِعْمَالِهِ؟!

وقد قال الشاعرُ

:

لَوْ سَارَ أَلْفُ مُدَجَّجٍ فِي حَاجَةٍ
لَمْ يَقْضِهَا إِلَّا الَّذِي يَتَرَفَّقُ

وقد قيل: الزم ما ألفت ودع ما أنكرت.

فأجابه الثاني، صاحب لِنِكْس: ضللت الصواب، فليس كلُّ ما مألوفٌ للإنس طيبٌ، وما كل مغمور رذيلٌ، والناس تقتضي الوندز عن جهل وعادة غثة لا يعلم ومعرفة، ولو أنهم انتهوا عن كسلهم ذاك وتعلموا وتعرفوا على ما وراءه من معائب لما عاودوه بعد مرة.

ثم وليست الكثرة قياسًا، فالجهل فاش في الناس والكثرة مذمومة في سائر الأحوال، قال الشاعر:

تُعَيِّرُنَا أَنَا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا
فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلٌ
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا
شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُھُولٌ
وَمَا ضَرَرْنَا أَنَا قَلِيلٌ وَجَارُنَا
عَزِيزٌ وَجَارُ الْإِكْثَرِينَ ذَلِيلٌ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجَيْرُهُ
مَنْعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلٌ

وصفوة القوم هم من يتخيرون للعامة من أمرها أزلًا، وما العامي إلا متبع.

قال صاحب الوندز: وبماذا يزيد على وندز إلا بالصعوبة؟ إنَّ عليك مداراة حال الناس واختلافهم، فليس كلهم عالمًا بالحاسب وفضوله، وأكثرهم عوام على قولك، ولقد قيل: «خاطبوا الناس على قدر عقولهم».

قال صاحب لِنِكْس: كلامك أبان وهمك ونقص معرفتك فلِنِكْس ليس الشاشة السوداء التي تحسبها، بل هو على صور وافرة وهو ما به يصح قولك بمخاطبة الناس على قدر عقولها فمن صور السهل ومنه الصعب وكلُّ تقدر أن تتعلمه غير أنك مكسال لا تريد التعلم، وقد قال الإمام الشافعي: ومن لم يذق ذل التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته. وأنت بهذا تحجبت عن لِنِكْس وكُبلت بويندوز ومسجنه، ومُنعت حرية لِنِكْس.

قال صاحب ويندوز: أي حرية تحكيها، وأي سجن هذا؟ بل أنا حر، أستخدم ما يستخدمه غيري من الناس، وألعب ألعابي، والحمد لله الذي أبعدني عن تنطعكم وتكلفكم، فلا أستخدم برامج عجيبة لم أعدها، ولست كمن يتكلف الخلق بالموسى ولا يُحسن فيفسد عمله ويعقر صاحبه، ولو كنت تعني خباياي فأنا لا أبالي بها فماذا سيفعلون بها؟ إنما يجمعونها ليهدبوا نظامهم.

قال صاحب لينكس: إنك لا تبصر قيدك فتحسب أنك حر، والحمد لله الذي خلصنا من قيد وندز وأنعم علينا بلينكس الحر مفتوح المصدر، ليله كنهاره، وليس كمثله الوندز الخبيث الذي لا أرى له شبيهاً إلى الخمر المنقوع فيها السم المميت، ثم إنك لو نهضت بالعباء، ونظرت في بدائل برامجك، وسبل تشغيل ألعابك الواهية لكان خيراً من أن تكشف سترك وتباع وتشتري سلعة في الأسواق وكل يعلم عنك ما أراد فيريك عروضاً لبضائع لا حاجة لك بها.

قال صاحب ويندوز: لست إلا متحذلقاً متفیهقاً لا تورد لنا إلا ما لا نهتم لأمره، فما هذه الخبايا التي تتحدث عنها كأنك خبأت سر الملك، إنما هي شؤون يسيرة مثل أني أحب القهوة بالحليب وأقرأ روايات الخيال المُنطوق، وذكر مؤسس شركة مايكروسفت صاحبة ويندوز أن أمر الستر لم يكن في البال وسنظر فيه وقال: أن جل ابتكارات القرن لازمتها مشاكل سلامة وجب إصلاحها، فالسيارات أحدثت حوادثاً والكهرباء صعقت الكثير فليس من هذا مناص.

قال صاحب لنكس: هذه الأوصاف التي عندك ما تعدلُ شروى نقير، وإنك لتكذب فيها أمام نفسك، فلسنا متفیهقين ولا متحذلقين وقد جربنا الأمر جميعاً وزدنا، وإن تكلمنا تكلمنا بعلم ولا نهرف فيما لا نعرف ولا أرى نفعاً في الاستمرار معك فسأفصل لك القضية وأنت حر بعدها، لا ريب أن بناءً لينكس أفضل من ويندوز فأساسه متين ونواته خير من نواة نت التي عفى عليها الزمن ويُعمر تعميراً سليماً خلاف ويندوز الذي يراكم الأغراض فوق بعضها ولطالماً وجدوا سبيلاً للوصول للأشياء القديمة، ثم لنكس مهيءٌ ليستمد عتادك فيؤديك أحسن أداء غرار ذاك الذي يستنزف عتادك وكلما حسنته يسألك الزيادة، ولينكس حر مفتوح المصدر

لا تستأثر به شركة واحدة فتدفعك ثمنه وتسلبك معلوماتك وتتاجر بها وتقول لك إنها لا تفعل خدعاً وكلنا عالمون بأنها تفعل، كما أن أمانه أعلى من ويندوز وقلما تجد فيه خبيثاً، ويُكَنِّك فيه من تصوير وتنسيق كل شيء حواه من مدخله إلى وجهه إلى القوائم وهلم جرّاً وهو ليس بعسيرٍ كما يحسبه كثير إنما بالتعلم، ويختص باختلاف الوجوه ولك أن تختار ما تميل له من الأوجه ومنها ما يشبه الوندز وما يشبه الماك وما لا يشبههما، وإنه لك أن تبقى تتعلم فيه وتعلو إلى مراتب لا تبلغها في وندز ما حييت، فلا يحزنك أنه خلاف عادتك ذلك لا يعيبه، وبرامج وندز جلها مغلقة وهي لها فانظر البديل عنها من البرامج المفتوحة وتجد إن شاء الله والسلام.

وفي اليوم الثاني تفاخر قوم لنكس متأثرين بالتفاخر الأمسي، وكانوا ستة نفر: صاحب السهام، وصاحب الديان، وصاحب فيدورا، وصاحب الأبتو، وصاحب مانجارو، وصاحب الكالي.

قال صاحب السهام: أما سهام لنكس ففخر لكل سهام، أفلا تراه يتغنى في كل مكان أن عنده السهام، مُنقطع النظر، طريق من أراد التفرد وسعى لمصافي الصفوة، تعيبون عليه الصعوبة وهذا لا يعيبه فلا بد له من حازم يبتغي الرفعة في علم الحاسب وينال الحرية الحقة، وليس لكل من هب ودب، ومبدأنا البساطة لا الأيسر؛ وبينهما فرق لا يعرفه إلا فطين، عندنا كل جديد، ومستودع السهامين أرفيه من البرامج ما لن تجده عن غيرنا من ركن للقرار وفضله على السعي الدائم للتجديد.

فقال صاحب الديان: يا متكلفاً يا متعالى! إنك وإن كان سهمك يُصيب، فلا تعرف الفرق بالصغير، إن سألك: سخرت منه وقلت: ابحث عنه بنفسك، جعلت الحاسب لك ولرهطك فأنبت فيهم الكبر والغرور، أما أنا فالتاج الذي تتوارثه الأجيال، والمنارة التي يستنير بها البحار، وليس في قراري عيب بل هو عين التاني، فلا أجدد حتى أتأكد من السلامة فلا أنال الحسرة والندامة، لذا استند عليّ أهل الورع والحكمة، فلا تغرنك شدتك، فالشدة في موضع اللين ضعف

فلما سمع صاحب فيدورا قولهما ضحك منهم وقال: أنتما مُفْرِطٌ ومُفْرِطٌ. أما أنا،

فجمعتُ بين محاسنكم فلا أتهور وأتجراً على كل جديد ولا أتأخر وأبقى في القديم، أخيرك عند التثبيت لكن أسمح لك بالتعديل عليها بعد حين، ومُحزمي دنف يجمع بين أبت دبيان وباكمان السّهام.

فقال فيهم صاحب أُبنتو: رويدكم، رويدكم! أنتم إما مُتهور أو كسول أو متقلب مزاج وكلكم أنا في لا يفكر في غير نفسه، لذا غفلتكم عن أمر فعامّة الناس فعامّة الناس لا يريدون أن يضيعوا في التجريب، ولا يسعون للعلو في صنعة الحاسب، لا يُفكرون بل يُقلدون وهذا ما جعلهم يتجنبونكم فأنتم تعقدونها عليهم، أما أنا فأيسرها عليهم، فلا أعقد الأمور، ولا أرهق العقول، فكنت خير بداية لمن كان في ضلاله القديم من أهل الوندز الخبيث، وبُنييت علي توزيعات شتى كلها تتسم بالبساطة مثل كُبتو واكسُبتو ونعناعة لنكس وغيرها.

فقال له صاحب مانجارو: إنك تدلّ جماعتك فتفسدهم، ومن تعود على الراحة معك، خارت قواه إذا فارقك. أما أنا فوسط بين الشدة واللين، لا أتعب مريديّ كما تفعل السهام، ولا أتركهم يغطّون في السهولة كما تفعل فمن تبغني وحمل رايتي وازن بين الأمرين.

فلما أدلى كل بدلوه وقال كل قائل قوله صرخ فيهم صاحب الكالي: اغربوا عن وجهي فلا أحد منكن أهل للمُفاخرة. فما أنتم إلا ملعبة للصبيان وأنا لست للهو، ولا يُلجأ إليّ إلا في الأمور العظام. أنا سيف المُخترق، درع المُحترف لا يأويني إلا من رام كشف المستور، وسبر أغوار الحفايا، من أراد أن يعرف، لا من أراد أن يلعب. أما عامّة الناس، فلا أريدهم ولا يريدوني ولا حاجة لي بهم.

فارتفعت الأصوات، وعلا الجدل، وماج المجلس، حتى دخل عليهم شيخ وراهم على هذه الحال فخطب فيهم: كفي جدلاً فلكل بضاعة مشترون، ولكل عمل رجال، وكلكم عنده حجة ودليل، فتكافؤ الأدلة يفصل بينكم، فمن رام القوة فالسهم سلاحه، ومن رام القرار فعنده دبيان، ومن رام التجديد فليقبل على فيدورا، ومن ابتغى السهولة، فليكن في ظلال أُبنتو، ومن أراد الجمع بين اللين والشدة، فمانجارو داره، ومن سلك دروب الأمن، فليتحق بكالي. والناس فيما يحبون مذاهب، فدعوا

لهم الاختيار.
فكلُّ سكت ورضي بجواب الشيخ وانتهى الخصام على خير.

وهانحن قد بيّنا في هذه القصتين منهج الصعاليك في الكتابة فقد ذكرنا قصتين ظريفتين تجمعان بين أدب الأولين وعلوم العصر، فلا يصيبك داء المُعاصر فتحسب أن هذه القصص هي ملعبة للصبيان وتقول أن العلوم لا تنال بهذا ولا بد من كتابة العلوم مجردةً فهذا ليس من منهج العرب في شيء.